جـلاد الكنانـة (*)

[مارس ـ آذار ـ ١٩٥٥]

أنـزلْ بهـذا الشَّعبِ كـلَّ هـوانِ ... وأَعـدْ عهـودَ الـرِّقِّ لـلأذهـانِ
واقتلْ بهِ ما استعطتَ كلَّ كرامةٍ ... وافـرضْ عليهِ شـريعةَ القُـرصانِ
أَطلقْ زبـانيةَ الجحيمِ عليـهِ منْ ... بـوليسـكَ الحـربيِّ والأعـوانِ
واصنعْ بِهِ ما شئتَ غير مُحاسبٍ ... فـالقيـدُ لم يُخلقْ لغيـر جبـانِ

* . * . * . * . *

يـا باعثَ الـوادي أَمَـا من جنـةٍ ... لـلمتـقيـنَ بجـانـبِ الـنيـرانِ؟
هـدَّمتَ صرحَ فسـادِهِ لكن على ... حـريَّـةِ الأرواحِ والأَبدانِ!
مـا بين محكمـةٍ تُقـامُ، وأختُهـا ... مُني الضَّميـرُ بغفـوةِ النَّعسـانِ
الشعبُ يلعنُها، وتُقرنُ باسمه(*) ... أرأيتَ كيف تَبجـحُ البـهتـانِ ؟
فيها القضاةُ همُ الخصومُ، وإنها ... لـعـدالـةٌ مختلَّةُ الـمـيـزانِ(١)

* . * . * . * . *

هِبني خُـدعتُ بكـلِّ مـا زيفتَـهُ ... عَنْ سادةِ الأحزابِ والإخـوانِ(٢)

(*) إشارة إلى تسميتها بمحكمة الشعب. [الشاعـر].

(١) لأن رجال الثورة هم الخصوم وهم القضاة، وأصبحت تلك المحاكمات معروفة إذ تصدر الأحكام قبل الإتهام.

(٢) وهي المؤامرة على الإخوان المسلمين التي ذهب ضحيتها عدد كبيـر من قادتهم وشبابهـم.

هلْ خانَ قائدُنا «نجيبٌ» عهدنا ... أمَ زَاحَ نهبَ الحقدِ والأضغانِ
لمْ يرضَ بالحُكم انفراداً غادراً ... بعدَ العهودِ وبيعةِ الرِّضوانِ[1]
أَوَكُلُّ شهمٍ لا يطيقُ خِداعكم ... أضحى لديكمْ خائنَ الأوطانِ؟
إن الشهيدَ قتيلَكمْ - وطريدَكم ... حرٌّ... وليسَ سجينُكم بمُدانِ
كفِلوا لكلِّ مواطنٍ حريَّةً ... في الرأيِ... إنْ أثنى على الطغيانِ
مَنْ ذا الذي يخشى الكلامَ وهاهُمُ ... قَدْ أطلَقوا للزورِ كلَّ لسانِ
هذي الصحافةُ حُرةٌ أقلامُها ... في جوفِ أربعةٍ مِنَ الجدرانِ
لم تخشَ بأسَ رقابةٍ - من بعد أن ... ألقَوا بها في ظلمةِ القضبانِ
أما الإذاعةُ فهي بوقُ دعايةٍ ... عادتْ بداءِ الوَقرِ للآذانِ[2]
مُلئتْ بكلِ مُخدِّرٍ.. ومُضللٍ ... مِنْ مائعِ الأخبارِ والألحانِ

* . * . * . * . *

زعموهُ عهدَ تقدُّمٍ نحو العُلا ... جَعَلَ المواطنَ صاحبَ السُّلطانِ
فعجبتُ كيفَ يريدُ مجدَ بلادِهِ ... مَنْ راحَ يطبَعُها على الخِذلانِ
جلبوا الشقاءَ لنا - فأيُّ نقيصةٍ ... لمْ تنتشرْ يوماً بكلِّ مكانِ
وصفوا الدواءَ لرشوةٍ مذمومةٍ ... فإذا بها أنكى منْ السُّرطانِ
وتَظاهروا بفَناءِ محسوبيةٍ ... وشيوعُها ما احْتاجَ للبرهانِ
ودعوهُ عهدَ تحررٍ من قيدِنا ... لبسوا مسوحاً فيهِ للرهبانِ
فرأيتُ شعباً مُستذلاً صاغراً ... نحوَ السجونِ يُساقُ كالقطعانِ
يستعملُ الأشرارُ في تعذيبهِ ... ما فاقَ كلَّ وسائلِ الشيطانِ
الرفقُ بالحيوانِ أصبحَ واجباً ... أفلا ننالُ الرِّفقَ بالإنسانِ

---

(١) يقصد بذلك محمد نجيب الذي كان يريد الرجوع للحياة النيابية ولم يرض الانفراد بالحكم حيث كان عبد الناصر يحيك المؤامرات للانفراد به.

(٢) الوقر: الثقل في السمع. وكانت الإذاعة وسيلة مهمة يعتمد عليها عبد الناصر للتأثير على الناس وتزييف الحقائق وإثارة المشاكل في البلاد العربية الأخرى.

قالوا: اقضاءُ عى الفوارقِ بيننا ... وإزالةُ الألقابِ مُقترنانِ
أيُّ الثمارِ أصابَ بعد زوالِها ... مَن باتَ يجرعُ سابقَ الحِرمانِ
قدْ أُبدِلَ الباشا القديمُ بسيِّدٍ ... والشعبُ بينهُما المريضُ العاني
كم جائعٍ قدْ خافَ جلاداً لهُ ... فأُسرَّ بالشكوى إلى عريانِ
ومعذَّبٍ سمعَ الدُّجى أناتِهِ ... مُتَعَلِّلاً بالصَّبرِ والإيمانِ
ماردٌ جوعاً... أوَ كسا عرياً بدا ... تحديدُهُمْ ملكيةَ الأطيانِ[1]
المالُ قَدْ أفنوهُ كيْ يتظاهروا ... بتتابعِ التشييدِ والعُمرانِ
ماذا أفادَ النيلُ مِنْ كورنيشهِ ... إنْ كانَ يشكو ذلَّةً ويُعاني
إنَّ السجينَ إذا ارتدى من سندسٍ ... في القيدِ لا يرتاحُ للسجَّانِ

* . * . * . *

شَغلَ الكُماةُ الغُرُّ كلَّ وظيفةً ... وتسلموا في النيلِ كلَّ عنانِ
حتى كأنَّ بمصرَ كلَّ كفاءةٍ ... قَصرت على أبطالِها الفُرسانِ[2]
وأرى العدوَّ ببابنا مُتربصاً ... ويكادُ أنْ ينقضَّ كالعُقبانِ
كمْ شَنَّ عندَ حدودِنا من غارةٍ ... قدْ قُوبلتْ بالصفحِ والغُفرانِ
والجيشُ مشغولٌ بإذلالِ الحمى ... هل خوضُ معركتينِ بالإمكانِ؟
يكفيهِ عرضُ الجندِ في حفلاتِهِ ... والكشفُ عمن فيهِ من شُجعانِ
لنْ ندركَ النصرَ المرادَ إذا التقى ... يوماً بإسرائيلَ في ميدانِ
أتريدُ من جيشٍ هزيلٍ قادهُ ... «صاغٌ» دفاعاً ساعةَ العدوانِ[3]

* . * . * . * . *

جلادَ مصرَ!! ويا كبير بُغاتِها ... مهلاً - فأيامُ الخلاصِ دواني

---

(١) المقصود بالأطيان : الأرض الصالحة للزراعة.

(٢) استغلال السلطة، وتقلد الضباط لكل المناصب السياسية والفنية مما أدى إلى تأخر البلاد وإشاعة الفوضى في كثير من القطاعات.

(٣) وتحقق ذلك سنة ١٩٥٦ م عندما احتلت إسرائيل سيناء ثم في سنة ١٩٦٧ م ، وما حل بالجيش من هزيمة منكرة.

من أيِّ غـابٍ قد أتيتَ بشـرعـةٍ ... ما إن يُساسُ بها سوى الحيوان
وبـأيِّ قانـونٍ حكمتَ فلمْ تـدعْ ... شيئـاً لـطاغيـةٍ مـدى الأزمـانِ
أبـرأيكُم ؟! واللهُ يـشهـدُ أنَّـهُ ... فيـهِ الهـوى والـغيُّ يَـلتقيـانِ
أمْ ذاكَ رأيُ الشعبِ وهـو مَكبَّلٌ ... فحيـاتُـهُ والمـوتُ يستـويـانِ؟!
قد باتَ مثلَ الزوجِ مخدوعاً متى ... يعلمْ فبعـدَ تحـدثِ الجيـرانِ
لو كانَ عهدُكَ قبل عهـدِ محمدٍ ... لَلُعِنْتَ يـا غـرعـونُ في القـرآنِ

* . * . * . * . *

في ظـلِّ فترةِ الانتقـالِ بنـا إلى ... دارِ الـبقـاءِ ورحـمـةِ الـديَّـان
هجرَ القضاءَ الحرَّ مجلسُ دولةٍ ... قـدْ نـامَ مـلءَ العينِ والأجفـانِ
وأُضيـعَ دستـورُ البـلادِ وحقُّهـا ... في بـرلمـانٍ ثـابـتِ الأركـانِ
نيـرونُ لـو قيستْ بكم أفعـالُـهُ ... سيكـونُ ربَّ الخيرِ والإحسـانِ
يـا رُبَّ مغلوبٍ ينامُ على الأذى ... لـكنْ بـمقـلةِ سـاهـرٍ يـقـظانِ
لا يُغـريَنَّكمُـوا بضـرب رقـابنـا ... هـذا الـسكـونُ فـإنَّـهُ لأوانِ
ومنَ العواصفِ ما يكونُ هبوبُها ... بعـدَ الهـدوءِ وراحـةِ الـرُّبـانِ
إنَّ احتدامَ النارِ في جوفِ الثرى ... أمـرٌ يُثيـرُ حَفيـظة الـبُـركـانِ
وتتـابُـعُ القـطراتِ ينـزلُ بعـده ... سيـلٌ يليـهِ تـدفقُ الـطوفـانِ[1]
كمْ من قـويٍ ظـالمٍ قَـدْ نـالَـه ... من شَعبِهِ ما ليسَ في الحُسبـانِ
فتشتُ لمْ أرَ مستبـداً نـاجيـاً ... دَمعُ الضحـايـا فـاحشُ الأثمـانِ
عرفَ «الشيشكلي» قبلكم في سوريا ... مـاذا وراءَ الـصمـتِ والإذعـانِ
فاروقُ لمْ يكنِ الخيالُ يـراهُ في ... يومِ الخروجِ يُجـرُّ في الأحزانِ
مـا كـانَ فينـا حـالمٌ بنـزولـهِ ... عن عَـرشـهِ في لحـظةٍ وثـوانِ
لكنَّـهُ ظلمُ الـطغـاةِ شعـوبَهـا ... جعـلَ الحياة تـدبُّ في الجُثمان

---

(١) هذه الأبيات الثلاثة من (ومن العواصف) إلى هذا البيت من قصيدة (رسالة في ليلة التنفيذ بل هاتان القصيدتان قصيدة واحدة، ولكن لم يستطع الشاعر إذاعة إلا تلك الأبيـات.